وعندي وهو من نسائم الأسحار أن ا سبحانه بعد أن ذكر يوم الدين وهو يوم القيامة ألتفت إلى الخطاب للأشارة إلى أنه إذا قامت القيامة على ساق وكان إلى ربك يومئذ المساق هنالك يفوز المؤمن بلذة الحضور ويتبلج جبينه بأنوار الفرح والسرور ويخلو به الديان وليس بينه وبينه ترجمان ويكشف الحجاب وتدور بين الأحباب كؤوس الخطاب فتأمل في عظيم الرحمة كيف قرن سبحانه هذا الترهيب برحمتين فصرح قبل يوم الدين بما صح ورمز بعد ذكره بما رمز ولن يغلب عسر يسرين ومن باب الإشارة أن يوم الدين تلويح إلى مقام الفناء لأنه موت النفس عن شهواتها وخروجها عن جسد تعلقها بالأغيار وإلتفاتها ومن مات فقد قامت قيامته فعند ذلك يحصل البقاء في جنة الشهود ويتحقق الجمع في مقام صدق عند المليك المعبود وفوق هذا مقام آخر لا يفي بتقريره الكلام ولا تقدر على تحريره الأقلام بل لا يزيده البيان إلا خفاء ولا يكسبه التقريب إلا بعدا وإعتلاء ولو أن ثوبا حيك من نسج تسعة وعشرين حرفا في علاه قصير اللهم أغرقنا في بحار مشاهدتك ومن علينا بخندريس وحدتك حتى لا نحدث إلا عنك ولا نسمع إلا منك ولا نرى إلا إياك هذا وقد ذكر الإمام السيوطي نقلا عن الشيخ بهاء الدين أنه قال أتفقوا على أن فيما نحن فيه إلتفاتا واحدا وفيه نظر لأن الزمخشري ومن تابعه على أن الإلتفات خلاف الظاهر مطلقا فإن كان التقدير قولوا الحمد ففي الكلام المأمور به إلتفاتان أحدهما في لفظ الجلالة وأصله الحمد لك لأنه تعالى حاضر والثاني في إياك لمجيئه على خلاف أسلوب ما قبله وإن لم يقدر كان في الحمد إلتفات من التكلم للغيبة لأنه تعالى حمد نفسه ولا يكون في إياك إلتفات لتقدير قولوا معها قطعا فأحد الأمرين لازم للزمخشري والسكاكي إما أن يكون في الآية إلتفاتان أو لا يكون إلتفات أصلا هذا إن قلنا برأي السكاكي كما يشعر به كلام الزمخشري في الكشاف لأنه جعل في الشعر الذي ذكره ثلاث إلتفاتات وإن قلنا برأي الجمهور ولم نقدر قولوا إياك نعبد فإن قدر قولوا قبل الحمد كان فيه إلتفات واحد وبطل قول الزمخشري إن في البيت ثلاث إلتفاتات إنتهى وهو كلام يغني النظر فيه عن شرح حاله فليفهم .

البحث الخامس في سر تكرار إياك فقيل للتنصيص على طلب العون منه تعالى فإنه لو قال سبحانه إياك نعبد ونستعين لأحتمل أن يكون إخبارا بطلب المعونة من غير أن يعين ممن يطلب وقيل أنه لو أقتصر على واحد ربما توهم أنه لايتقرب إلى ا تعالى إلا بالجمع بينهما والواقع خلافه وقيل إنه جمع بينهما للتأكيد كما يقال الدار بين زيد وبين عمرو وفيه أن التكرير إنما يكون تأكيدا إذا لم يكن معمولا لفعل ثان وإياك الثاني في الآية معمول لنستعين مفعول له فكيف يكون تأكيدا وقيل أنه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل

حاجة وعندي أن التكرار للأشعار أن حيثية تعلق العبادة به تعالى غير حيثية تعلق طلب الإستعانة منه سبحانه ولو قال إياك نعبد ونستعين لتوهم أن الحيثية واحدة والشأن ليس كذلك إذ لا بد في طلب الإعانة من توسط صفة ولا كذلك في العبادة فلإختلاف التعلق أعاد المفعول ليشير بها إليه البحث السادس في سر إطلاق الإستعانة فقيل ليتناول كل مستعان فيه فالحذف هنا مثله في قولهم فلان يعطى في الدلالة على العموم ورجح بلزوم الترجيح بلا مرجح في الحمل على بعض وأيضا قرينة التقييد خفية وبأنه المروي عن ترجمان القرآن إبن عباس رضي ا تعالى عنهما وبأن عموم المفعول متضمن لنفي الحول والقوة عن نفسه والإنقطاع بالكلية إليه تعالى عمن سواه فهو أولى بمقام العبادة وإلى ترجيحه يشير صنيع العلامة البيضاوي وقال صاحب الكشاف : الأحسن أن يراد الإستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله تعالى : أهدنا بيانا للمطلوب من المعونة